

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٣٨٩ : خ ١ - أحاديث شريفة عن الإيمان ، خ ٢ - علم النفس الإسلامي.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢-٠٤-١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلي إلا على الله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جدد به وكفر . وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ، رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين . اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيء قدير . اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الإيمان المنجي أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ في خطبة يوم الجمعة من أول أيام العيد تحدثت عن موضوع دقيق ، هو أن النبي عليه الصلاة والسلام وصف المؤمن بصفات :

((الإيمان عفيف عن المحارم ، عفيف عن المطامع))

[الجامع الصغير عن محمد بن النضر]

و الإيمان أن تحب الله عزّ وجل ، و :

((الإيمان قيّد الفتك لا يفتك مؤمن))

[أبو داود عن أبي هريرة]

إلى آخر هذه الأحاديث التي كانت موضوع خطبة يوم الجمعة من أول أيام العيد ، وبيّنت وقتها أن الإنسان يميل إلى الرضا عن عقله ، وعن إيمانه ، وعن قناعاته ، ولكنه لا يرضى عن رزقه ، ولا عن حظوظه من الدنيا . ولئلا يقع الإنسان في وهم كبير ، أن يتوهم أنه ذو إيمان كبير وهو ذو إيمان قليل ، بيّنت لكم تلك الأحاديث الشريفة التي وردت في الكتب الصحيحة ، وفي كتاب الجامع الصغير حول تعريفات الإيمان ، وقد وجدت لزاماً عليّ أن أكمل هذا الموضوع بموضوع آخر ، هما متعاكسان لكنهما متكاملان .

الموضوع الآخر هو أن النبي عليه الصلاة والسلام من خلال أحاديثه الشريفة ، ومن خلال سننه الفعلية والإقرارية ، يبين أن بعض الأعمال تنفي عن الإنسان الإيمان ، وفي أقل تقدير تنفي عنه كمال الإيمان ، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول مثلاً :

((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَحَتَّى يَكْرَهُ لَهَا مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ))

[الأذكار النووية عن أنس]

هذا مقياسٌ آخر ، أي إذا كانت هذه الصفة مُنْطَبِقَةً على إنسان فهذا الإنسان لم يؤمن بعد ، أو لم يبلغ الإيمان المُنْجِي ، أو أنه لم يبلغ الإيمان الكامل الذي يرقى به إلى الله عزَّ وجل ، ما دام لا يحب لإخوانه المؤمنين ، ولا لإخوانه المسلمين ما يحب لنفسه ، بل ما دام لا يحب لأخيه في الإنسانية ، وهذا تفسيرٌ دقيقٌ يقوم على أن المُطْلَق على إطلاقه ، النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال :

((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ...))

[الأذكار النووية عن أنس]

لأخيه أوردتها النبي عليه الصلاة والسلام مُطْلَقَةً ، وما دامت مُطْلَقَةً فهي تشير إلى أوسع دائرة تتعلق بأخيك ، إنها دائرة الإنسانية ، ف . . .

((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَحَتَّى يَكْرَهُ لَهَا مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ))

[الأذكار النووية عن أنس]

في الإنسانية ، فأية دعوة تقوم على عصبية ، أو على عنصرية ، أو على فرزٍ للناس ، هذه الدعوة في أساسها باطلة ، لأنها تقوم على ما يناقض دعوة النبي عليه الصلاة والسلام ، فمن أحب لنفسه شيئاً لم يحبه للآخرين ، وكره لنفسه شيئاً لم يكرهه للآخرين ، فهذا دليل ضعف إيمانه، أو انعدام إيمانه في قلبه .

الانضباط وفق منهج الله و محبة النبي علامة الإيمان :

أيها الأخوة الأكارم ؛ يقول عليه الصلاة والسلام :

((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَحَتَّى يَكْرَهُ لَهَا مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ))

[الأذكار النووية عن أنس]

فإذا توافر عكس ذلك فهذا دليل انعدام الإيمان ، أو انعدام الإيمان المُنْجِي ، أو انعدام كمال الإيمان . حديثٌ آخر يقول عليه الصلاة والسلام :

((لن يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعاً لما جنتكم به))

[الدر المنثور عن ابن عمر]

أي أن ميوله ، رغباته ، شهواته إذا كانت منضبطة وفق منهج الله عزَّ وجل فهذه علامة إيمانه ، أما إذا اشتهى ، ومالَ ، وأحب ما يُغضب الله عزَّ وجل ، ما دام هناك مفارقةً بين ما تحب وبين

منهج الله عزَّ وجل ، فهذه علامة ضعف الإيمان ، أو علامة أن الإيمان الذي ينطوي عليه الإنسان لا يُنجِيهِ من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة . .

((لن يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعاً لما جئتكم به))

[من الدر المنثور عن ابن عمر]

لهذا ورد في السنة أنه : " طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة " من استهوته البدع ولا سيما المحرمة ، وأحبها ، على الرغم من أنها مخالفة لشرع الله عزَّ وجل ، فهذا دليل بُعدهِ الشديد عن حضرة الحق جلَّ وعلا ، وعن منهجه القويم . ويقول عليه الصلاة والسلام :

((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين))

[الجامع الصغير عن أنس]

وكيف يكون النبي أحبَّ إليك من نفسك ؟ وكيف يكون النبي أحبَّ إليك من ولدك؟ وكيف يكون النبي أحبَّ إليك من والدك ومن الناس أجمعين ؟ حينما تؤثر سنته على حظوظ نفسك فإنك تحبه أكثر مما تحب نفسك ، وحينما تؤثر سنته على حبك لأولادك فهذه علامة إيمانك ، وحينما تؤثر سنته على حبك للناس أجمعين ، أي لو أنك طبقت سنته فغضب الناس عليك ، لا تبالي بغضبهم ما دمت مطبقاً لسنة النبي عليه الصلاة والسلام .

والناس أيها الأخوة دائماً متحنون ؛ بين أن يطبقوا ما يتوهمون لصالحهم ، وبين أن يطبقوا ما هو واردٌ في السنة النبوية المطهرة ، إذاً :

((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))

[من الأذكار النووية عن أنس]

و :

((لا يؤمن أحدكم حتى يكره لها ما يكره لنفسه))

و :

((لن يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعاً لما جئتكم به))

[الدر المنثور عن ابن عمر]

و :

((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين))

[الجامع الصغير عن أنس]

أفعال تبعد المسلم عن حقيقة الإيمان :

حديثٌ آخر يوجِّه فيه النبي عليه الصلاة والسلام أنظار المؤمنين إلى أن بعض الأفعال إذا فعلوها، وناقضت هذه الأشياء التي ذكرها النبي ، فقد وقعوا في بُعدٍ شديدٍ عن حقيقة الإيمان . يقول عليه الصلاة والسلام :

((والله ما آمن - قالها ثلاثاً - فقال أصحابه : خاب وخسر يا رسول الله . قال: والله ما آمن من بات شعبان وجاره إلى جانبه جائع وهو يعلم))

[من شرح الجامع الصغير]

ويكمل هذا الحديث حديث آخر . .

((من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم))

[المعجم الأوسط عن حذيفة]

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه الأشياء التي إذا فعلها الإنسان بعد عن الإيمان ، أو بعد عن الإيمان المنجي ، أو بعد عن كمال الإيمان ، عندئذ لا ينفعه إيمانه من الله شيئاً .

أيها الأخوة الأكارم ؛ ليس عنا ببعيد قول النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال :

((دخلت امرأة النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ،

حتى ماتت))

[متفق عليه عن ابن عمر]

أي حينما يُعذب الحيوان بلا سبب ، وبلا طائل ، حينما يُقتل الطير تحقيقاً لهواية الصيد ليس غير ، هذا العصفور الذي قُتلَ لغير مأكلة يأتي يوم القيامة وله دوي كدوي النحل يقول : يا ربي سله لم تقتلني ؟ تعذيب الحيوان ينفي عن الإنسان الإيمان ، لأنه مخلوق ، وربنا سبحانه وتعالى هو الذي خلقه ، فإذا أردت أن تعذبه بلا سبب ، وبلا جدوى ، ومن دون طائل ، وبلا عذر فعندئذ هذا يؤكد أنك لا تعرف الله عز وجل .

أريد أن أوضح لكم ذلك بمثل : لو أن إنساناً عنده ضغط مرتفع جداً ، هذا الضغط المرتفع ربما قاده إلى الهلاك ، إلى انفجار في أحد شرايين المخ ، هذا الإنسان حينما يُكثر من أكل الملح هل تعتقدون أنه طيب ؟ لا والله . هل تعتقدون أنه مُمرض ؟ لا والله . هل تعتقدون أنه منقّف ؟ لا . هل تعتقدون أنه قرأ في حياته مقالةً عن ضغط الدم ؟ لا . فحينما يفعل الإنسان فعلاً هذا الفعل يؤكد جهله . فالإنسان حينما يعذب حيواناً هذا يعني أنه لا يعرف الله أبداً ، لا يعرف أن الله سوف يقتص منه ، لا يعرف أن الله سوف يحاسبه ، لا يعرف أنه في قبضة الله عز وجل ، فهذا الموضوع اليوم موضوع معاكس للموضوع السابق ، هناك أفعال إذا فعلها الإنسان كأنك تنفي عنه الإيمان ، فإذا أحب نفسه ولم يحب إخوانه المؤمنين ، إذا أحب نفسه ولم يحب إخوانه في الإنسانية ، إذا كره لها شيئاً ولم يكره لهؤلاء ، إذا كان هواه على خلاف ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ، إذا أثر حظوظ نفسه وحظوظ أولاده وحظوظ أقربائه على سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، فهو لا يحب النبي ، ولا يعرف قدره ، ولا قدر سنته .

مضمون الدين مضمون سلوكي و تعاملي و أخلاقي :

أيها الأخوة الأكارم ؛ ليس عنكم ببعيد قول النبي عليه الصلاة والسلام :

((إن فلاتة تذكر أنها تكثر من صلاتها وصيامها وصدقها ، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ،
فقال عليه الصلاة والسلام : هي في النار))

[أحمد والبخاري عن أبي هريرة]

دققوا في قول النبي :

((تذكر أنها تكثر - ومعنى تكثر أي أنها تصلي الفرائض والنوافل - من صلاتها وصيامها
وصدقها ، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، فقال عليه الصلاة والسلام : هي في))

معنى ذلك أن مضمون الدين مضمون سلوكي ، مضمون تعاملي ، مضمون أخلاقي ، مضمون
قيمي ، وليس مضمون الدين مضمون طقوس ، ولا مضمون أفعال وأقوال تفعلها وانتهى الأمر ،
حقيقة الدين مواقف ، أخلاقيات ، مبادئ ، قيم ، انضباط ، الدين في أساسه خيرٌ للناس جميعاً ،
فإذا طبقت العبادات ولم تكن هناك معاملات راقية ، إذا طبقت العبادات ولم تكن هناك معاملات
أخلاقية ، إذا طبقت العبادات ولم تكن هنا معاملات تتم عن فضلٍ وعن نضح فهذا ليس هو الدين
الذي أراده الله عزّ وجل .

من علامات الإيمان أن تحب الإنسان لأنه مؤمن :

أيها الأخوة الأكارم ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام :

((ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان . . . وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله))

[مسلم عن ابن عمر]

أي من علامات الإيمان أن تحب إنساناً لا تربطك به لا قرابةً ، ولا نسباً ، ولا مصاهرةً ، ولا
شراكةً ، ولا جواراً ، ولا تجارةً ، ولا مصلحةً ، ولا شيءً من هذا القبيل ، لا يربطك به إلا أنه
مؤمن وقد أحببته الله . . .

((لا يؤمن أحدكم حتى يحب المرء لا يحبه إلا الله))

[أحمد عن أنس]

((ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان . . . وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله))

[مسلم عن ابن عمر]

للجار المسلم القريب ثلاثة حقوق :

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((لا يؤمن بالله من لا يكرم جاره))

[من كنز العمال عن علي]

هذا الذي يؤذي جاره ، يمنع عنه أساسيات الحياة ، يحجب عنه الشمس ، يحجب عنه الريح ،
يتقصّد إيذائه ، ألم يرد أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((أتدرون ما حق الجار ؟ إن استعان بك أعتته ، وإن استنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستعل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، وإذا اشتريت فاكهة فأهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تعرف له منها))

[من تخريج أحاديث الإحياء عن عمرو بن شعيب]

لذلك :

((لا يؤمن بالله من لا يكرم جاره))

[من كنز العمال عن علي]

أي جار له حق عليك ، وقد عدّ العلماء أن أربعين بيتاً من على يمين الرجل كلهم جيران ، وأربعين بيتاً من على شماله من الجوار ، وأربعين بيتاً من أمامه جيران ، وأربعين بيتاً من خلفه جيران ، وقد نصيف أن أربعين بيتاً من فوقه جيران ، وأربعين بيتاً من تحته جيران ، والجار له حق عليك ولو كان غير مسلم ، له حق واحد ، والجار المسلم له حقان ؛ حق الجوار وحق الإسلام ، والجار المسلم القريب له ثلاثة حقوق ؛ حق الجوار ، وحق الإسلام ، وحق القرابة ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((لا يؤمن بالله من لا يكرم جاره))

[من كنز العمال عن علي]

نفي الإيمان عن الكاذب و عمن لا يؤمن بالقضاء و القدر :

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر من إذا حدث كذب))

[من الدر المنثور عن أبي الدرداء]

الكذب ينفي عنك الإيمان ، المؤمن لا يكذب ، إيذاء الجار ينفي عنك الإيمان ، ألا تحب الناس إلا لمصلحة ينفي عنك الإيمان ، أن تؤثر حظوظك النفسية وحظوظ أولادك وأسرتك على سنة النبي عليه الصلاة والسلام ينفي عنك الإيمان ، أن تكون أهواؤك في واد وشرع الله في واد هذا ينفي عنك الإيمان ، ألا تحب للآخرين ما تحب لنفسك هذا ينفي عنك الإيمان . هذه الخطبة مكملة للخطبة السابقة .

((لا يؤمن العبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره))

[من زيادة الجامع الصغير عن جابر]

هذا الذي يقول : هذه نعمة والحمد لله ، وهذه نعمة . أما إذا جاءت الأمور على غير ما يريد ، إذا هو يشكك في رحمة الله عز وجل هذا ليس مؤمناً ، هذا ينفي عنك الإيمان إن لم تؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، لأنه لا يقع شيء في الكون إلا إذا أراد الله ، وإذا أراد الله شيئاً وقع ،

وإرادة الله متعلقةً بالحكمة المطلقة ، وحكمته متعلقةً بالخير المطلق ، فإذا آمنت بالخير على أنه من الله ، وبالشر على أنه دفعك إلى التشكك برحمة الله عزَّ وجل ، فأنت لم تبلغ الإيمان المنجِّي أو الكامل .

الإيمان المنجي أن يكون باطنك كظاهرك :

شيء آخر أيها الأخوة ، دققوا في هذا الحديث ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((لا يؤمن عبدٌ حتى يكون لسانه وقلبه سواء))

[من كنز العمال عن أنس]

الازدواجية ؛ أن يكون لك موقفٌ معلن وموقفٌ حقيقي ، لك ظاهر ولك باطن ، تفعل شيئاً في جلوتك وتفعل شيئاً آخر في خلوتك ، تفعل شيئاً أمام الناس وتفعل شيئاً آخر فيما بينك وبين نفسك .

((لا يؤمن عبدٌ حتى يكون لسانه وقلبه سواء))

[من كنز العمال عن أنس]

ما في قلبك على لسانك ، وما ينطق به لسانك هو في قلبك ، وظاهر كباطنك ، وعلايتك كسيرتك ، وخلوتك كجلوتك ، وأنت مسافر كما أنت مقيم ، ومع من تحب في عدالتك وأحكامك كمن مع من لا تحب ، لهذا قال عليه الصلاة والسلام :

((أمرني ربي بتسع ؛ خشية الله في السر والعلانية ، كلمة العدل في الغضب والرضى ، القصد في الفقر والغنى ، وأن أصل من قطعني ، وأن أعفو عن ظلمي ، وأن أعطي من حرمني ، وأن يكون صمتي فكراً ، ونطقي ذكراً ، ونظري عبرة))

[رزين عن أبي هريرة]

((وحتى يأمن جاره بوائقه))

[من كنز العمال عن أنس]

أحياناً يفعل إنسانٌ شيئاً في بيته من دون أن يؤدي أحداً على الإطلاق ، من دون أن يسبب أي أذىً للإنسان ، إذا به يفاجأ بأن أحد جيرانه قد اشتكى عليه ، وقد سبب له مصائب كثيرة ، فأين هذا الجار ؟ هذا الجار لا تؤمن بوائقه ، أي لا تؤمن شروره . .

((وحتى يأمن جاره بوائقه))

[كنز العمال عن أنس]

أن يأمن جارك بوائقك ، وأن تكرم جارك ، وأن يكون لسانك وقلبك سواء ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، وألا تكذب إطلاقاً ، وأن تحب المرء لا تحبه إلا الله ، وأن تحب لأخيك في الإنسانية ، أو لأخيك المسلم ، أو لأخيك المؤمن ما تحبه لنفسك ، وأن تكره له ما تكره لنفسك ، وأن يكون هواك تبعاً لما جاء به النبي ، وأن تحب سنة رسول الله أكثر مما تحب نفسك ، وحظوظها ، وأولادك ، ووالدك ، والناس أجمعين ، إذا كنت كذلك فأنت في حظيرة الإيمان ، وأنت ممن شملهم قول النبي العدنان عليه أتم الصلاة والسلام .

أيها الأخوة الأكارم ؛ بقي مجموعة أحاديث لها علاقةٌ بهذه الخطبة ، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا))

[من الأذكار النبوية عن عمرو بن شعيب]

ليس منا ، تستحي بمظاهر المسلمين ، تستحي بما سنَّه لهم النبي عليه الصلاة والسلام ، تحب عادات الأجانب ، تحب أن تحتفل في بيتك كما يحتفل الأجانب ، تحب أن تقلدهم ؛ في طعامك ، وشرابك ، وأعيادك ، واحتفالاتك ، هذا الذي يتشبهه بغير المسلمين النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا))

[من الأذكار النبوية عن عمرو بن شعيب]

((ليس منا من تطير - التشاؤم ، والسوداوية - ولا من تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو

سحر أو سحر له))

[من الدر المنثور عن عمران بن حصين]

السحر ، والكهانة ، والتشاؤم ، هذه كلها تنفي عن الإنسان الإيمان .

((وليس منا من خب امرأً على زوجها أو عبداً على سيده))

[من الأذكار النبوية عن عمرو بن شعيب]

حينما تفسد علاقة أختك بزوجها ، لا لشيء إلا لتستعلي عليه ، حينما تُفسد علاقة موظف برب العمل ، حينما تفسد علاقة شريك بشريكه ، حينما تفرق بين أم وابنها ، بين أخ وأخيه ، بين جارٍ وجاره ، لست مؤمناً ، هذا الذي يوقع بين الناس العداوة والبغضاء ، يفسد العلاقة بينهم ، هذا الذي يفرق ولا يجمع ليس من المؤمنين في شيء . هذه أحاديث خطيرة ، ليس الإسلام أن تصلي فقط ، وأن تصوم فقط ، وأن تحج البيت فقط ، وأن تؤدّي زكاة مالك ليس غير ، الإسلام أن تكون مطبقاً لهذه السنة النبوية .
و يقول عليه الصلاة والسلام :

((ليس منا من دعا إلى عصبية))

[من الجامع الصغير عن جبير بن مطعم]

هذا الذي يعبر عنه اليوم بكلمة (عُنْصُرِي) هذا الذي ينحاز إلى قومه على حق أو على باطل ، ينحاز إلى أقربائه على حق أو على باطل ، ينحاز إلى أولاده ولو ظلموا ، ينحاز إلى أولاده ولو أجحفوا ، ينحاز إلى زوجته ولو طغت وبغت ، ويكره الآخرين لا لشيء إلا لأنهم لا يلودون به ، هذا المنطلق منطلق عنصري ، يكره الناس لا لشيء إلا لأنهم لم يعظّموه التعظيم الكافي ، حينما تتطلق من عصبية ، إما عصبية عائلية ، أو عصبية قَبَلِيَّة ، أو عصبية أُسْرِيَّة ، أو عصبية إقليميَّة ، حينما تنحاز إلى قوم لا لأنهم على حق بل لأنهم قومك فقط ، لذلك :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

* * *

هذا البيت قاله أحد الشعراء وهو يعبر عن العصبية بأعلى مظاهرها . .

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

* * *

النبي عليه الصلاة والسلام قال :

((لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسناً وإن ظلموا ظلمن))

[الترمذي عن حذيفة]

يكفي أن تقول : يا أخي الناس كلهم هكذا . فأنت عسبي ، فأنت عنصري ، أين الحق ؟ أين سنة النبي عليه الصلاة والسلام ؟ إذا أساء الناس تسيء معهم ، وهل أنت مغطى ؟ ألم يقل أحد الولاة عندما سأل سيدنا عمر : " إن أناساً قد اغتصبوا مالاً ليس لهم ، لست أقدر على استخلاصه منهم إلا أن أمسهم بالعذاب ، فإن أذنب لي فعلت . قال : ويحك ، يا سبحان الله ! أتستأذني في تعذيب بشر ؟ وهل أنا لك حصن من عذاب الله ؟ وهل رضائي عنك ينجيك من سخط الله ؟ أقم عليهم البينة فإن قامت فخذهم بها ، فإن لم تقم فادعهم إلى الإقرار ، فإن أقروا فخذهم بإقرارهم ، فإن لم يقرروا فادعهم لحلف اليمين ، فإن حلفوا فأطلق سراحهم ، وإيم الله لأن يلقوا الله بخيانتهم أهون من أن ألقى الله بدمائهم " .
أيها الأخوة الأكارم ؛

((ليس منا من دعا إلى عصبية))

[من الجامع الصغير عن جبير بن طعم]

كأن تؤثر ابنتها على الحق ، تدافع عنها ، وتقوي بغيها لأنها ابنتها ، وهي ضد فتاة أخرى ليست ابنتها ، ضدها لأنها ليست ابنتها ، هكذا . هذه المنطقات أساسها التعصب ، وأساسها الانحياز الأعمى ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((ليس منا من دعا إلى عصبية))

[من الجامع الصغير عن جبير بن طعم]

كن مع الحق ولو كان الحق مُراً ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، وكن قوَّماً للحق ولو على نفسك ، هكذا قال الله عز وجل . .

((ليس منا من عمل بسنة غيرنا))

[من الجامع الصغير عن ابن عباس]

و :

((من غش فليس منا))

[من الجامع الصغير عن أبي هريرة]

هذا الذي يقول : أنا عندي أولاد ، والناس هكذا ، كل الناس هكذا يغشون هذه المادة كي يعيشوا يا أخي ، كي نعيش . هذا ينفي عنك الإيمان ، حينما تغش المسلمين فأنت لست مسلماً ، والحديث الآخر :

((ليس منا من غشنا))

[من الجامع الصغير عن ابن مسعود]

أما الأخطر :

((من غش فليس منا))

[من الجامع الصغير عن أبي هريرة]

لو غششت مجوسياً فلست من المسلمين ، لو غششت كافراً ، لو غششت ملجداً فلست من المسلمين . .

((ليس منا من غش))

و :

((ليس منا من غشنا))

و :

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ))

[سنن أبي داود عن أبي سعيد]

((ويحك يا شاب هلا بالقرآن تتغنى؟))

[من كنز العمال عن أبي سلام]

كلام الله عزّ وجلّ ألا يطربك ؟ ألا يشجيك ؟ ألا يسعدك ؟ . .

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله))

[مسند الشهاب للقضاعي عن عائشة]

البخيل بعيدٌ عن الله ، بعيدٌ عن الناس ، بعيدٌ عن الجنة . .

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله))

[مسند الشهاب للقضاعي عن عائشة]

الإيمان أن تحب الله عزّ وجلّ :

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ بعيداً عن مصطلحات علماء العقيدة ، وبعيداً عن مصطلحات الفقهاء ، وعن المعنى اللغوي للإيمان ، وعن المعنى الاصطلاحي ، وعن حدوده، وعن هل الإيمان يزيد وينقص ؟ بعيداً عن هذه التعقيدات الإيمان أن تحب الله عزّ وجلّ . .

((الإيمانُ قَيْدُ الْفَتَكِ لَا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ))

[أبو داود عن أبي هريرة]

((الإيمان عفيف عن المحارم ، عفيف عن المطامع))

[الجامع الصغير عن محمد بن النضر]

((الإيمان الصلاة))

[من كنز العمال عن أبي سعيد]

هذا موضوع الخطبة السابقة ، وموضوع الخطبة اليوم : من تشبّه بغيرنا ، أو تطير ، أو تكهن ، أو سحر ، أو خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده ، أو دعا إلى عصبية ، أو من غش ، أو من غشنا ، من لم يتغنّ بالقرآن ، من لم يجل كبيرنا ، من لم يرحم صغيرنا ، من لم يعرف لعالمنا حقه ، من وسّع الله عليه ثم قتر على عياله هذا ينفي عنه الإيمان .

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ الأحاديث نوعان : نوعٌ إذا توافر فيك فأنت مؤمنٌ ورب الكعبة ، ونوعٌ إذا توافر فيك فأنت على شفا خطرٍ عظيم ، فينبغي أن تقف ، وأن تتأمل ، وأن تفكر .
أيها الأخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أنواع النفس :

أيها الأخوة الأكارم ؛ قد نقول : إن علم النفس علمٌ حديث ، يتحدث عن طبيعة النفس ، وعن قوانينها ، وعن الهيجان ، وعن الغضب ، وعن الدوافع ، وعن الحاجات ، وعن أحوال النفس في قوتها وضعفها ، في سموها وانحطاطها ، ونغفل أو نتغافل عن أن في القرآن الكريم علماً للنفس من عند الخالق جلّ وعلا .

وقع قبل أيام تحت يدي كتاب اسمه : " علم النفس الإسلامي " تصفحته فرأيت فيه العجب العجاب ، رأيت أن كل مصطلحات علم النفس ، وكل قوانين علم النفس - في الأعم الأغلب - قد وردت بشكل أو بآخر في القرآن الكريم . فمن هذه الأبواب التي وردت في هذا الكتاب - كتاب علم النفس الإسلامي - أنواع النفس ، هذا يُعبر عنه بالناماذج البشرية ، هناك نماذج متكررة ، فربنا عزّ وجل وصف النفس المُطمئنة ، هناك نفسٌ مطمئنة ، وهناك نفسٌ لوّامة ، وهناك نفسٌ زكية ، وهناك آياتٌ كثيرةٌ تصف هذا النموذج ، ف . . .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَاَدْخُلِي

﴿ جَنَّتِي ﴾

[سورة الفجر : ٢٧-٣٠]

النفس المطمئنة هي التي عرفت ربها ، و اطمأنت إليه ؛ اطمأنت إلى أسمائه الحسنی وصفاته الفضلى ، اطمأنت إلى وعده وووعيده ، اطمأنت إلى جنّته ، اطمأنت إلى وحدانيته ، اطمأنت إلى أنه لا إله إلا هو . وهناك نفسٌ تقع في الدرجة الثانية هي النفس الزكيّة، الطاهرة من كل دنس ، من كل عيب ، من كل صفةٍ خسيسة ، النفس الزكية التي تُعطي ما عليها وتأخذ ما لها ، من دون أن تجحف ، من دون أن تطغى ، من دون أن تبغي ، من دون أن تظلم . .

﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾

[سورة الكهف : ٧٤]

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

[سورة الشمس: ٩-١٠]

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾

[سورة الشمس: ٧-٨]

فالنفس الزكيّة ، فلان زكي ، أي طاهر ، لا يحقد ، ولا يحسد ، ولا يبغى ، ولا يظلم، ولا يتجاوز حدوده ، معطاءً ، خيرٌ ، يحب السلم ، يكره العدوان ، يكره البغي والظلم ، هذه النفس الزكية ورد ذكرها في القرآن الكريم في آياتٍ كثيرة . وأما النفس التي أثنى الله عليها وهي نفس عامة المؤمنين فهي النفس اللوامة ، قال :

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ﴾

[سورة القيامة: ١-٢]

هذا الذي كلّمك كلمةً فحصها ، وحاسب نفسه عليها ؛ أيجوز أن أقول هذه الكلمة ؟ لعلها غيبة؟ لعلها نائمة؟ لعلها تسخط الله عزّ وجلّ ؟ وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بأساً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً))

[من الجامع الصغير عن ابي هريرة]

هذه النفس اللوامة نفسٌ أثنى الله عليها ، والمؤمن يجب أن يكون لواماً ، يسأل نفسه دائماً ، يحاسبها في الدنيا حساباً عسيراً حتى يكون حسابها يوم القيامة يسيراً ، يحاسب نفسه على الدرهم فضلاً عن الدينار ، يحاسب نفسه على النظرة ، يحاسب نفسه على الكلمة ، يحاسب نفسه على أيّ عدوانٍ معنوي أو مادي على حقوق الإنسان ، هذه النفس اللوامة نموذجٌ آخر ورد في القرآن الكريم . وهناك نفسٌ حاسدةٌ . .

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾

[سورة البقرة : ١٠٩]

النفس البعيدة عن الله عزّ وجلّ تحسدُ الناس . وهناك نفسٌ أئمةٌ تقع فيما حرمّ الله.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾

[سورة النساء : ١١١]

نفسٌ أئمةٌ ، ونفسٌ حاسدةٌ ، ونفسٌ أمّارةٌ بالسوء . .

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ﴾

[سورة يوسف : ٥٣]

ونفسٌ ظالمةٌ ، ونفسٌ مخادعةٌ ، ونفسٌ شاذةٌ ، ونفسٌ مُسْتَكْبِرَةٌ عاتيةٌ ، ونفسٌ بخيلةٌ .
فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ إذا قرأتم القرآن وجاءت الأوصاف لهذه النفوس ، اسأل نفسك هذا
السؤال الخطير : من أي النماذج أنت ؟ من المطمئنة ، أم من الزكية ، أم من اللوامة ، لا سمح
الله أم من الحاسدة ، أم من الآثمة ، أم من الأمارة بالسوء ، أم من الظالمة ، أم من الخادعة ، أم
من المستكبرة العاتية ، أم من البخيلة ؟ بابٌ من أبواب علم النفس أن يوصف لك النموذج البشري
الذي يتكرر في كل زمانٍ وفي كل مكان .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ،
وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ،
ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك ،
اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك . اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا
تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن
طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ،
وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على
من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ،
مولانا رب العالمين . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وديننا الذي فيها معاشنا ،
وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا
من كل شر ، مولانا رب العالمين . اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ،
وبفضلك عن سواك . اللهم لا تؤمنا مكره ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تنسنا ذكرك يا رب
العالمين . اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمننا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً
رخياً وسائر بلاد المسلمين . اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن
الذل إلا لك ، نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم ما
رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما نحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما نحب .

اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبدلها بالإقتار ، فنسأل شرّ خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ،
وذنم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء . اللهم كما
أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين . اللهم بفضلك
وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيد ولاةهم إلى ما تحب
وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين